الْفَصْلُ الثَّالِثُ

ضَوَابِطُ الْحُكْمِ عَلَى مُدَّعِي الْمَهْدِيَّةِ

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

ضَوَابِطُ الحُكْمِ عَلَى مُدَّعِي المَهْدِيَّةِ

«إِنَّ شِدَّةَ الْفَحْصِ بَرَاءَةٌ مِنَ الْخَدِيعَةِ»

العامري في «الإعلام بمناقب الإسلام»

الدنيا دار امتحان، والآخرة دار ظهور النتائج، فكلُّ سالكٍ طريقًا تخفى عليه عاقبته؛ ومن ثَمَّ وجب التحري الشديد عند نقطة تقاطع الطرق؛ للتأكد من أن هذا الطريق بعينه هو الذي يقود إلى الهدف، ومما يؤكد وجوب هذا التحري أننا نعيش في الدنيا مرة واحدة، فهي إذن فرصتنا الوحيدة للمراجعة والاستدراك، قبل أن تحل الآجال، ولات ساعة مندم:

ستعلم حين ينكشف الْغُبَارُ جوادٌ تحت رِجلِكَ أَمْ حِمَارُ

إِن كثيرًا من الناس يتقحمون الفتن، ويهجمون عليها ويقولون:

«ما نريد إلا الخير»، وكم من مريد للخير لا يبلغه! وكم مِن حَسَنِ النية لا يشفع له حسن نيته! وإن النار مأهولة بكثير ممن حسنتْ نياتهم.

جاء في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾... الآية [الكهف: ١١٠]: العمل الصالح: أخلصُهُ وأصوبُهُ، فإن كان العمل صوابًا لكنه غير خالص، أو خالصًا لكنه غير صائب، فإنه لا يُقْبَلُ.

ونحن هنا لا نناقش الإخلاص؛ لأننا لا نَطَّلِعُ عليه، وإنما نناقش «الصوابَ» بأن نحاكم السلوك الظاهر إلى كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله ﷺ.

إن «المُخْلِصَ» غير معصوم من أن يخطئَ أو يَضِلَّ، وكم اصطاد الشيطان كثيرًا من الضحايا «بشبكة» الإخلاص! وليس أدلَّ على ذلك من سيرة الخوارج الذين اجتهدوا في العبادة بصورة مبهرة، حتى قال فيهم النبي ﷺ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ

الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ، وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ(١)، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ لَاتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ»... الحديثَ(٢).

وهم الذين قال فيهم ابن عباس - رضي الله عنهما -: «فدخلت على قوم لم أرَ قطُّ أشدَّ منهم اجتهادًا؛ جباهُهُم قَرِحَة من السجود، وأياديهم كأنها ثفن الإبل، وعليهم قُمُص مُرَحَّضَة مُشَمِّرين، مُسَهَّمَة وجوههم من السهر»(٣)، ومع ذلك كله وصفهم النبي ﷺ بأنهم: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، وقال ﷺ: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ»(٤).

ولقد تورط كثير من الناس في فِتَنٍ أشعل نارَها مُدَّعُو المهدية؛ لأن عاطفتهم رَكِبَت عقولهم، وحماستهم أخضعت فكرهم؛ ومن هنا مسَّت الحاجة إلى محاولة استنباط ضوابط تحكم موقفنا من كل من يدعي المهدية مستقبلًا، أو تُدَّعى له، حتى نضع النقاط على الحروف، مستهدين في ذلك باستقراء تجارب التاريخ البعيد والقريب، متحررين من ضغوط «الاستعجال».

وليس في وضع هذه الضوابط قتل للآمال، ولا وأد للطموحات، ولكنها تجذبنا إلى الواقع لنحسن تقديره، ونعرف كيف ننطلق منه لأخذ الأسباب التي تحقق لنا هذه الطموحات؛ إذ لا يليق بالمسلم أن ينساق وراء الأماني؛ فالسماء لا تمطر ذهبًا ولا

(١) التراقي: جمع ترقُوة؛ وهو العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق؛ والمراد عدم انتفاعهم بالعبادة.
(٢) رواه مسلم (١٠٦٦)، وأبو داود (٤٧٦٨).
(٣) «تلبيس إبليس»، ص (١٢٥)، و«ثفن»: جمع ثفنة؛ وهي ركبة الإبل؛ والمراد أن أيديهم قد غلظت من طول السجود، ومرحضة: مغسولة، ومسهمة: ضامرة.
(٤) رواه مسلم، (١٠٦٤).

فضة، وسنن اللَّه لا تحابي أحدًا، ومن نصرة الدين أن تُحْتَرَمَ سنن اللَّه في الكون.

إن «المهدي» شخص واحد لا يتكرر، والتصديق بمدعي المهدية يستلزم التكذيب بالمهدي الحقيقي، ومن ثم وجب الفحص والتحري قبل قبول دعوى المهدي، ومن لوازم هذا الفحص محاولة استقراء أحوال مدعي المهدية، واستنباط ضوابط تضبط تعاملنا مع مدعي المهدية، وكيف نميز الصادقَ من الكاذب، وفيما يلي محاولة لحصر هذه الضوابط:

الضَّابِطُ الأَوَّلُ:

يجب التفريق في مسألة المهدي بين تصديق خبر الصادق المصدوق ﷺ بشأن المهدي[1] - وهذا واجب على كل مسلم -، وبين الحكم على فلان بأنه المهدي على سبيل التعيين - وهذا غير ملزم لكل مسلم -، إلا أن يأتي دليل قاطع على تعيينه.

الضَّابِطُ الثَّانِي:

جميعُ علامات المهدي إنما تُعرف من خلال أخبار الوحي المعصوم إلى النبي ﷺ، ولا حُجَّةَ في أي مصدر آخرَ، سواء أكان الأحاديثَ والآثارَ الضعيفةَ والموضوعةَ[2]، أو

(١) راجع ص (٢٨).

(٢) ومن الصفات الواردة في الأحاديث الضعيفة:
أ- أنه من ولد العباس، وأن لونه لون عربي، وجسمه جسم إسرائيلي، وأن في خده الأيمن خالًا، وأنه يقاتل على السُّنَّة؛ كما قاتل النبي ﷺ على الوحي.
ومنها حديث: «مَنْ أَنْكَرَ خُرُوجَ الْمَهْدِيِّ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»، وهو موضوع؛ كما في «الموسوعة في أحاديث المهدي»، ص (٨٣-٨٦).
ب - وَمِنْهَا: ما نُسِبَ إلى ابن سيرين؛ من أن المهدي خيرٌ من أبي بكرٍ وعمر - رضي اللَّه عنهما -، وذهب السيوطي - رحمه اللَّه - إلى تأويل هذا الأثر على ما أَوَّلَ عليه حديث «بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ»؛ لشدة الفتن في زمان المهدي، وتمالؤ الروم بأسرها عليه، ومحاصرة الدجال له، وليس المراد بهذا =

الرؤى المنامية، أو الكشف، أو الإلهام، أو ادعاء لقيا النبي ﷺ يقظةً بعد وفاته، أو لقيا الخَضِرِ ـ عليه السلام ـ أو الأولياء ... إلخ.

= التفصيل الراجع إلى زيادة الثواب، والرتبة عند الله؛ فالأحاديث الصحيحة، والإجماع، على أن أبا بكر، وعمر أفضل الخلق بعد النبيين والمرسلين» اهـ. من «الحاوي»، (٢/١٥٣).

وقال ابن حجر الهيثمي ـ رحمه الله ـ: «ما جاء عن ابن سيرين: أن المهدي خيرٌ من أبي بكر وعمر، قد كاد يفضل على بعض الأنبياء، وصح عنه: «لا يفضل عليه أبو بكر، وعمر»، وهو وإن كان أخف من الأول، إلا أنه يجب تأويلهما بصرائح الأحاديث، وقيام الإجماع على أنهما أفضل منه، بل وأفضل بقية الأربعة، بل الصحابة؛ خلافًا لما شَذَّ به «ابن عبدالبر» أن يكون فيمن بعد الصحابة أفضل منهم؛ وكأن ابن سيرين أراد بقوله: «كاد أن يفضل على بعض الأنبياء» أنه يؤم عيسى، وللإمام فَضْلٌ ما على المأموم؛ من حيث التبعية، لكن ـ في الحقيقة ـ ليس هذا الفضل له، بل لنبينا ﷺ؛ لأن ائتمامه به علامةٌ على نزوله بشريعة نبينا، واتباعه له» اهـ. من «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر»، ص(٧١، ٧٢).

وقال السفاريني ـ رحمه الله ـ: «جاء عن ابن سيرين أن المهدي خير من أبي بكر وعمر؛ قد كاد يفضل على الأنبياء»، وجاء عنه ـ أيضًا ـ: لا يفضل عليه أبو بكر وعمر، وهو ـ وإن كان أخف من الأول ـ فليس بصحيح؛ فإن الأمة مجتمعةٌ على أفضليتهما عليه، بل وعلى جميع الصحابة؛ خِلافًا للرافضة ـ خذلهم الله ـ تعالى ـ، بل غيرهما من الصحابة أفضل من المهدي» ا هـ. من «لوامع الأنوار البهية»، «٢/٨٤».

ومما يُبطل هذا الزعم ما صَحَّ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: «كنت مع رسول الله ﷺ؛ إذ طلع أبو بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: «هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَالْآخِرِينَ، إِلَّا النَّبِيِّينَ، وَالْمُرْسَلِينَ، يَا عَلِيُّ: لَا تُخْبِرْهُمَا»، «صحيح، سنن الترمذي»، (٢٨٩٧)، (٣/٢٠١).

وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ تعالى ـ:

«... وصار بعض الناس يَدَّعِي أن في المتأخرين مَنْ يكون أفضل في العلم بالله من أبي بكر، وعمر، والمهاجرين، والأنصار، إلى أمثال هذه المقالات التي يطول وصفها، مما هو باطلٌ بالكتاب، والسنة، والإجماع» ا هـ. من «مجموع الفتاوى»، «١٣/٢٦٧».

وقال ـ أيضًا ـ رحمه الله ـ تعالى ـ في سياق بيانه أن كل من سوى الأنبياء، دونهم: «فإن الله جَعَلَ الذين أنعم عليهم أربعةً: النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين؛ فغاية من بعد النبي أن يكون صِدِّيقًا؛ كما كان خير هذه الأمة بعد نبيها صِدِّيقًا؛ ولهذا كانت غاية مريم ذلك في قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾، [الآية]؛ ... فإن الله ذكر ذلك في بيان غاية فضلها؛ دفعًا لِغُلُوِّ النصارى فيها؛ كما يقال لمن ادَّعَى في رجل أنه ملكٌ من الملوك، أَوْ غَنِيٌّ من الأغنياء، ونحو ذلك، فيقال: ما هو إلا رئيس قرية، أو صاحب بستان، فيذكر غاية ما لَهُ من الرياسة، والمال، فلو كان للمسيح مرتبة فوق الرسالة؛ أَوْلَها مرتبة فوق الصديقية، لَذُكِرَتْ..»

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «ثم نقول: بل أول الأولياء في هذه الأمة، وسابقهم هو أفضلهم؛ فإن أفضل =

الضَّابِطُ الثَّالِثُ:

لَمَّا كان المهدي مجددًا من المجددين؛ لزم أن يكون مستقيمًا على منهاج النبوة، متمسكًا بالعقيدة السلفية، بريئًا من البدع الردية، وإلا فإن فاقد الشيء لا يعطيه، فإذا كان مدعي المهدية منتسبًا إلى إحدى الفرق الضالة الزائغة عن أهل السنة والجماعة؛ فإنه ينادي على نفسه بالكذب والتدليس، وإذا كان العلماء قد نبذوا من فرَّط في أدب من الآداب، فكيف بمن انحرف في أصول الدين؟

قال أبو يزيد: «قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شَهَرَ نفسه بالولاية» - وكان رجلًا مقصودًا مشهورًا بالزهد - فمضينا إليه، فلما خرج من بيته ودخل المسجد،

= الأمة خاتم الأنبياء، وأفضل الأولياء سابقهم إلى خاتم الأنبياء؛ وذلك لأن الولي مستفيد من النبي، وتابع له؛ فكلما قرب من النبي كان أفضل، وكلما بعد عنه كان بالعكس، بخلاف خاتم الأنبياء؛ فإن استفادته إنما هي من الله، فليس في تأخره زمانًا ما يُوجِبُ تأخر مرتبته، بل قد يجمع الله له ما فرَّقه في غيره من الأنبياء، فهذا الأمر الذي ذكرناه من أن السابقين من الأولياء هم خيرهم، هو الذي دل عليه الكتاب، والسنن المتواترة، وإجماع السلف، ويتصل بهذا ظَنُّ طوائفَ أن من المتأخرين من قد يكون أَفْضَلَ من أفاضل الصحابة، ويوجد هذا في المنتسبين إلى العلم، وإلى العبادة، وإلى الجهاد، والإمارة، والملك» ا هـ. من «مجموع الفتاوى»، «(١١/٣٦٤ - ٣٦٦)».

- **وَمِنَ الصِّفَاتِ المُفْتَرَاةِ مِنَ الفِرَقِ الضَّالَّةِ:**

جـ - ادِّعَاءُ أنه معصومٌ لا يخطئ.

د - ادعاء أن المهدي، والسيف إخوان، وأنه «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب تسعة أعشار الناس»، وروى المجلسي عن أبي عبدالله: «لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج، لأُحب أكثرهم ألا يروه؛ مما يقتل من الناس، حتى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل محمد، ولو كان من آل محمدٍ، لَرَحِمَ».

هـ - ادعاء أن أكثر من يقتلهم هم العرب؛ فسوف «يضع فيهم السيف، والذبح»، ويبدو أن مصدر هذه الفرية هو نفسه مصدر دعوى أن أمير المؤمنين عليًا ﷺ قال: «إن الله خلَّصه - أي كسرى - من النار؛ وإن النار محرمةٌ عليه»!

و - ادعاء أنه سوف يهدمُ المسجد الحرام، والمسجد النبوي، وأن الحجر الأسود سينقل إلى الكوفة.

ز - ادعاء أنه يقيم حكم داود، وسليمان، ولا يُسْأَلُ بينة، وأنه يبايع الناس على كتابٍ جديد.

انظر: «الله .. ثم للتاريخ»، ص، (١٠٥ - ١١٤)، وراجع ص (٥٥٠).

رمى ببصاقه تجاه القبلة؛ فانصرف أبو يزيد، ولم يسلم عليه، وقال: «هذا غير مأمون على آداب رسول الله ﷺ، فكيف يكون مأمونًا على ما يدعيه؟».

الضَّابِطُ الرَّابِعُ:

ليس في الأحاديث الثابتة ما يدل على أن المهدي سوف يطالب الناس بالإقرار بمهديته، أو يمتحنهم على ذلك ويقهرهم، فضلًا عن تكفيرهم، واستباحة دمائهم .

إن ادِّعاء أن المهدي سوف يُلْزِمُ الناسَ بالإيمان بمهديته، وأن من شك في مَهْدِيَّتِهِ فقد كَفَرَ، فيه إضافة إلى الدين ما ليس منه، ومعلوم أن الدين اكتمل فلا يَقْبَلُ الزيادة، قال - تعالى -: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾، أضف إلى ذلك ما يترتب على هذا الافتراء من انتهاك الحرمات، والفساد في الأرض على يد مُدَّعِي المهدية ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

إن المهدي الحقيقيَّ لا «يتمحور» حول إِثْبَاتِ مهديته للآخرين، واعترافهم بها، ولا يُضِيفُ إِلَى شَهَادَتَي الْحَقِّ الشهادة بأن «محمد بن عبدالله مهدي الله»، ولا يقول: «فإن شهدوا بمهديتي فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم»، وإلا أراق دماءهم، وسبى نساءهم، وسلب أموالهم، كما فعل ابن تومرت[1] والسوداني، والجونبوري، وغيرهم.

(١) الذي قال في حق المهدي: «فالعلم به واجب، والسمع والطاعة له واجب، واتباعه والاقتداء بأفعاله واجب، والإيمان به والتصديق به واجب على الكافة، والتسليم له واجب، والرضا بحكمه واجب، والانقياد لكل ما قضى واجب، والرجوع إلى علمه واجب، واتباع سبيله واجب، والاستمساك بأمره حتم، ورفع الأمور إليه بالكلية لازم»، بل يصرح بأن طاعته، والاستسلام له، إن هي إلا طاعة الله، ورسوله ﷺ، ثم يقول: «هو أعلمهم بالله، وأقربهم إلى الله؛ به قامت السماوات والأرض، وبه كُشِفت الظلمات، وبه تُدْفَعُ الأباطيل، وبه تظهر المعارف، وبموافقته تُنَالُ السعادة، وبطاعته تُنَالُ البركات».
أما أولئك الذين تسوّل لهم أنفسهم مخالفة المهدي ومعارضته، أو الشك في أمره، فويلٌ لهم؛ لقد توعدهم ابن تومرت بالشر، والنكال، وزعم أن من ناوأ المهدي «فقد تقمع في الردى، وليس له التطرق إلى النجاة»، ثم إن «أمر المهدي حتم، ومن خالفه يُقتل، لا دفع في هذا لدافع، ولا حيلة فيه لزائغ»=

وليس التصديق بعين المهدي أو شخصه من أركان الدين كما هو الحال مع الأنبياء ـ عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ.

قال العلامة حمود التويجري ـ رحمه الله ـ تعالى ـ : (إن المهدي لا يطلب الأمر لنفسه ابتداءً مدعيًا أنه المهدي، كما يفعل ذلك المدعون للمهدية كَذِبًا وزورًا، وإنما يأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كارهٌ، فيبايعونه، ثم يُسَمِّيهِ الناس بعد ذلك بالمهدي؛ لما يرون من صلاحه، وعدله، وإزالته للجور والظلم). اهـ[(١)].

الضَّابِطُ الخَامِسُ:

إن علامات المهدي المنتظر نوعان:

الأَوَّلُ: أمارات مُتَشَابِهَةٌ:

وهي الصفات المشتبهة المشتركة القابلة للتَّكْرَارِ في غير المهدي الحقيقي، فيمكن أن يتصف بها بعض الناس فعلًا[(٢)]، أو يتكلَّف الاتصاف بها[(٣)]، أو يَدَّعِي ذلك كذبًا

= إلى أن يقول «إن الإيمان بالمهدي واجب، وإن من شك فيه كافر، وإنه معصومٌ فيما دعا إليه من الحق، لا يجوز عليه الخطأ فيه» ا هـ. من «دولة الإسلام في الأندلس»، بتصرف، «٢٠٨/٤ ـ ٢١٠».

(١) «الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر»، ص: (٣٠٢).

(٢) كأن يكون من آل البيت؛ واسمه محمد بن عبدالله؛ وهي التسمية الغالبة على مُدَّعِي المهدية، أو يكون إمامًا عادلًا جوادًا؛ كعمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله تعالى ـ .

(٣) كما فعل محمد بن يوسف الجونبوري الذي غَيَّرَ اسم أبيه إلى عبدالله، واسم أمه إلى آمنة، وأشاعهما في الناس، وإمعانًا في التكلف تَوَجَّهَ إلى «خراسان»، «ولعله ذهب إلى «خراسان»؛ ليرجع منها إلى الهند بالرايات السود، حتى ينطبق عليه الحديث المروي في ذلك، لكن حالت دون ذلك موانع، فمات وهو ينتظر دخولها»، انظر: «فرق الهند»، ص «٢٩٩».

وقال ابن كثير في محمد بن عبدالله المهدي بن المنصور العباسي: «وإنما لقب بِالْمَهْدِيِّ رجاءَ أن يكون الموعود به في الأحاديث، فلم يكن به، وإن اشتركا في الاسم؛ فقد افترقا في الفعل» اهـ. من «البداية والنهاية»، (١٥١/١٠)، وراجع ص (٣٧٤)؛ الفصل الأول من الباب الثالث.

وزورًا[١]، وهذه العلامات ـ وإن اجتمعت كلها في شخص ما ـ؛ فإنَّهَا لا تكفي لإثبات أنه صادق في دعواه المهدية، حتى ينضمَّ إليها **النوع الثاني؛ وهو الأدلة المحكمة القاطعة بأن فلانًا بعينه هو المهدي المنتظر**، وهي العلامات غير القابلة للتَّكرار مع غير المهدي الحقيقي، ولا يستطيع مدعي المهدية أن يفتعلها، أو يتكلف إيجادها، أو يدعي أنها وقعت بالفعل، وهي: نزول عيسى ـ عليه السلام ـ في زمانه من السماء، واجتماعه به، وصلاته ـ عليه السلام ـ أول نزوله ـ خلف المهدي، ثم قتله الدجالَ[٢].

قال البرزنجي ـ رحمه الله ـ: «ومن العلامات التي يُعْرَفُ بها المهدي أنه يجتمع بعيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ، ويصلي عيسى خلفه»[٣]. اهـ.

وقال الشيخ حمود بن عبدالله التويجري ـ رحمه الله تعالى ـ:

(من ادَّعى من المفتونين أنه المهديُّ المنتظر، ولم يخرج الدجال في زمانه، فإنه دجَّال كذَّاب، وكذلك من ادَّعى أنه المسيح ابن مريم، ولم يكن الدجَّال قد خَرَجَ قبله، فإنه دَجَّال كاذب، وللمسيح ابن مريم علامتان لا تكونان لغيره من الناس، إِحْدَاهُمَا: أنه يقتل الدجَّال كما تواترت بذلك الأحاديث، والثَّانِيَةُ: أنه لا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِه إلا مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفه[٤]، وفي هاتين العلامتين قَطْعٌ لأطماع كل دَجَّال يدَّعي أنه المسيح ابن مريم)[٥]. اهـ.

---

(١) كما ادعى المهدي الملحد عبيدالله بن ميمون القداح الانتساب إلى أهل البيت بالكذب، والزور، مع أن جده كان يهوديًا من بيت مَجُوسِيٍّ، وكذلك ادَّعى هذا النسبَ ابنُ تومرت.

(٢) ومن العلامات المُحْكَمَةِ أن يُخْسَف بالجيش بالبيداء إذا صَحَّ أنه يقصد المهدي، راجع ص(٤٥ ـ ٤٧)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (١٣٥٥).

(٣) «الإشاعة»، ص (٩١).

(٤) رواه مسلم (٢٩٣٧)، (٤/٢٢٥٣).

(٥) «إقامة البرهان في الرد على من أنكر المهدي والدجال».

الضَّابِطُ السَّادِسُ:

يَجِبُ نبذ الصورة الأسطورية التي خلعها على المهدي بعضُ الفرق الضالَّة، وبعضُ مدعي المهديةِ، ونخصُّ بالذكر الرافضةَ، وغلاة الصوفية، والوضَّاعين الكذَّابين، كما يلزم الاقتصار على الصورة الواقعية لشخصيته كما أخبر بها من لا ينطق عن الهوى ﷺ، والذي وصف المهديَّ بأنه: «رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي»، «رَجُلٌ مِنَّا»، «خَلِيفَةٌ مِنْ خُلَفَائِكُمْ»، «أَمِيرُهُمُ الْمَهْدِيُّ»، «إِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ»... إلى آخر صفاته التي تبرئه من غلو الضالِّين، وإفراط الدجَّالِينَ، وتثبت أنه - في الحقيقة - إمامٌ عادل، وخليفةٌ راشد، ومجدِّد لشباب الدين، والمجدد قد يُعَمَّرُ طويلًا وينجز مهامه التجديدية، ثم يموت دون أن يدور بِخَلَدِهِ أنه مجدد، وكذلك كان يمكن أن يقال في حق المهدي سواء بسواء: «إنه قد يعيش ويموت دون أن يقطع بأنه المهدي»، لولا وجود العلامات القاطعة التي تجزم بصحة مهديته مما تقدم ذكره في «الضابط الخامس».

إن قطب الرحى، ومحط الأنظار في سيرة المهدي، إنجازاته الواقعية العملية في خدمة الدين والأمة، قبل «لقبه»، وهذا ما فهمناه من حال علماء السلف الذين شَكُّوا أن «فلانًا» هو المهدي؛ بناء على كونه إمامًا عادلًا، وبناءً على ما لمسوه وعاينوه من إنجازاته على أرض الواقع[1].

---

(١) مثال ذلك ما قال حكيم بن سعد: لما قام سليمان - أي ابن عبدالملك الأموي - **فأظهر ما أظهر**، قلت لأبي يحيى: «هذا المهدي الذي يُذكر؟»، قال: «لا».

ومثله قول وهب بن منبه: «إن كان في هذه الأمة مهدي؛ فهو عمر بن عبدالعزيز»، وكذا قال سعيد ابن المسيب، ومحمد بن علي فيه: «هو المهدي»، وقال إبراهيم بن ميسرة لطاووس: «عمر بن عبدالعزيز المهدي؟»، قال: «كان مهديًّا، وليس بذاك المهدي».

وقال خالد بن سُمَيْر في حق موسى بن طلحة بن عبيدالله: «وكان في زمانه يُرَوْنَ أنه المهدي»، راجع ص (٣٧٢)، فتراهم عوَّلوا على الأعمال، دون «التمحور» حول الإقرار بمهديته، وحَمْل الناس عليها، وتحويلها إلى هدف مقصود لذاته؛ فكان الحديث عمن ظنوه مهديًّا عابرًا دون جلبة، ولا ضوضاء.

يقول الشيخ عبدالمحسن العباد ـ حفظه الله تعالى ـ:

«المهدي عند أهل السنة لا يعدو كونه إمامًا من أئمة المسلمين، الذين ينشرون العدل، ويُطَبِّقُونَ شَريعةَ الإسلام، يُولَدُ في آخر الزمان (١)، ويتولى إمرةَ المسلمين، ويكون خروج الدجَّال، ونزول عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ من السماء في زمانه، وهو غير معصوم» (٢).. إلخ.

ويقول الدكتور عبدالودود شلبي ـ حفظه الله تعالى ـ:

«إنه ليس ضروريًّا أن يعلن الرجل المختار لهذه المهمة عن نفسه.. الأنبياء والرسل هم الذين يعلنون عن دعوتهم؛ لأن من طبيعة «النبوة» الإعلان والإنذار، حتى لا تكون للناس على الله حجة، وطبيعة «المهدية» تختلف عن طبيعة النبوة، فالمهدية تجديد، وإحياء، وحركة، وقد لا يعرف المرشح لهذه المهدية أنه المهدي نفسه.

إن العالم سيشاهد رجلًا تمثلت فيه صفات الكمال الخلقي، وزعيمًا تجسدت فيه آمال البعث والإصلاح الديني، وقائدًا تَمَيَّزَ بصفاتٍ نادرةٍ قَلَّمَا تجتمع في شخص عادي، وعلى ضوء ما يقوم به هذا الإمامُ الجليلُ من عملٍ، وبقدر ما يحققه للإسلام من عزة، وبالمقارنة بين عصره وبين ما كان قبله من فساد، وطغيان، وظلم، وما تحقق على يديه وفي عصره من إصلاح، وصلاح، وعدل، يعرف الناس أنه الرجل المنتظر، والمهدي الذي يعم عدله جميع البشر» (٣) اهـ.

---

(١) هذا والله ـ تعالى ـ أعلم ـ؛ احترازٌ من قول الرافضة في شأن مهديهم الخرافي، وإن تعجب فعجبٌ ما نقله الشعراني عن الشيخ حسن العراقي: أنه اجتمع بالمهدي الحق، وسأله عن عمره، فقال له المهدي: «ولدت في أواخر المئتين من الهجرة، وعمري ست مئة سنة، وأنا من ولد الإمام الحسن العسكري»، قال الشعراني: «هكذا أخبرني، والله أعلم بحقيقة الحال»، انظر: «لطائف المنن والأخلاق»، ص(٤٨٩ـ٤٩٠)، وصرح في موضع آخر بأنه سأل الكمل من مشايخ التصوف، فأجابوا بنفس ما قاله المهدي المزعوم سواء بسواء، والله المستعان على ما يصفون، انظر: «الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية»، (١/٤، ٥)، (١٣٩/٢) مطبوعٌ على هامش «طبقات الصوفية»، للشعراني.

(٢) «الرد على من كذب بالأحاديث الواردة في المهدي»، ص (٨ ـ ٩).

(٣) «الأصول الفكرية»، ص (٢٣٨).

مُلاحَظَاتٌ وَتَحْذِيرَاتٌ

الأُوْلَى:

قد يدعي المهدية بعض الصالحين الذين تنطبق عليهم بعض صفات المهدي «المتشابهة»، كما حصل من محمد بن عبدالله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «تلقب بالمهدي طمعًا أن يكون هو المذكور في الأحاديث، فلم يكن به، ولا تَمَّ له ما رجاه، ولا ما تمناه، فإنه لله»(١).

الثَّانِيَةُ:

أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ينصب الأدلة الواضحة على بطلان وزيف دعاوي المدَّعين، لكنها قد لا تظهر إلا لِأُولِي العلم الذين اختصهم الله ـ سبحانه ـ بالبصيرة في الدين، ولا تكاد تجد مُدَّعِيًا المهديةَ إلا ويكون الله ـ سبحانه ـ قد هيَّأَ له من أهل العلم، من ينقض دعواه، ويكشف زيفه.

وأحيانًا يكون بطلان دعواه ظاهرًا للعيان؛ إذ لا يستند إلى دليل سوى الهذيان، ولا يدعي دعوى إلا ويبطلها البرهان، وقد يبلغ جهله إلى حد الاستدلال بنفس الدعوى، مع أن الدعوى يستدل لها، ولا يستدل بها(٢).

---

(١) راجع، ص «٣٧٣».

(٢) ومن أمثلة ذلك أن الجونبوري قال في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾: «أنا أسمع من الله ـ سبحانه وتعالى ـ مباشرة بدون واسطة، يقول: إن هذه الآية نزلت في شأنك»، أ هـ، من «فرق الهند»؛ ص «٢٤٦».

ولما سأل علماء «هرات» الجونبوري: على أي أساس تدعي المهدية لنفسك؟

قال: «أنا لا أدعيها من عند نفسي، بل أدعيها بأمر من الله ـ سبحانه وتعالى ـ» اهـ. من «فرق الهند»، ص(٢٤٦).

وسئل «الجونبوري»: إن اسم أبي المهدي «عبدالله»، وأنت ابن «سيدخان» =

الثَّالِثَةُ:

قد يحاول أعداء الإسلام استغلال فكرة المهدية للتوصل إلى مآربهم الخبيثة، ومقاصدهم الشريرة بأمة الإسلام، كما فعل اليهودي الزنديق المتمسلم عبدالله بن سبإ[١]، والمهدي الملحد عبيدالله بن ميمون القدَّاح[٢]، وعلي محمد الشيرازي (ت١٨٥٠م) الذي ادَّعى أنه «باب المهدي المنتظر»، ثم ترقى فادعى أنه «المهدي» نفسه، ثم قرر - موافقة لطائفته - نسخ دين الإسلام، وشيوع المرأة، والمال، وإلغاء التكاليف، وكان يسانده، ويسلحه، الإنكليز، والروس، وبعد إعدامه سنة ١٢٦٦هـ، ادَّعى حسين علي الملقب ببهاء الله إلغاء الأديان، وأنه هو مظهر الله الحقيقي، وأن جميع الأنبياء إنما جاءوا ليبشروا به[٣]، ومن المعلوم أن البهائيةَ كانت عميلة للإنكليز والروس، وربيبة للصهيونية العالمية.

ومن هذا الصنف غلام أحمد القادياني الذي ادَّعى أنه المجدِّد، ثم المهدي، ثم المسيح الموعود، ثم النبي المستقل[٤]، وكان للإنكليز دور ضالع في نصرته وتأييد دعوته.

الرَّابِعَةُ:

لُوحِظَ في بعض حالات ادِّعاء المهدية وجود شخصية أخرى إلى جوار المتمهدي

= فأجاب قائلًا: أليس الله بقادر على أن يبعث ابن «سيدخان» مهديًّا؟!
وأجاب مرة ثانية: «اسألوا الله لماذا بعث ابن «سيدخان» مهديًّا؟!
وقال مرة ثالثة: «اذهبوا فقاتلوا الله - تعالى - لماذا بعث ابن «سيدخان» ا هـ. من «فرق الهند»، ص (٣٠٢).

(١) راجع ص (٣٦٦).

(٢) راجع ص (٣٨٢).

(٣) انظر: «فرق معاصرة»، (٤٠٩/١)، وما بعدها، و«الموسوعة الميسرة»، (٤١٢/١)، وما بعدها، و«البهائية»، للشيخ محب الدين الخطيب، و «البابية، والبهائية»، للشيخ إحسان إلهي ظهير.

(٤) انظر: «فرق معاصرة»، (٢/ ٤٨٣)، «الموسوعة الميسرة»، (١ /٤١٩)، و«القاديانية»، لإحسان إلهي ظهير، و«طائفة القاديانية»، للشيخ / محمد الخضر حسين.

تدعمه؛ كعبدالمؤمن مع ابن تومرت، والتعايشي مع السوداني، أو تؤثر عليه وتوجهه، وتسيطر عليه[1]، كما حصل من الملّا حسين البشروئي مع علي محمد الشيرازي[2]، وكما فعل جُهَيْمَان العتيبي مع مُحَمَّد بن عبدالله القحطاني.

الخَامِسَةُ:

من خلال استقراء أحوال مدعي المهدية، أمكن رصد بعض حالات يبدو أن أصحابها كانوا مضطربين نفسيًا[3].

فهذا «تمرتاش بن النوين»: «خَفَّ عقلُهُ؛ فزعم أنه المهدي»[4].

---

(١) وربما تبادل الاثنان هذاءاتهما؛ نتيجة «عدوى» نفسية تنتقل بالإيحاء، فتسمى عندئذ: جنون الاثنين (Folie a Deux)

(٢) علي بن محمد الشيرازي مهدي البهائية؛ الذي زيَّن له الأمر الملّا حسين البشروئي، يقول الشيخ عبدالرحمن الوكيل ـ رحمه الله ـ مُعَلِّقًا على طبيعة الشخصيتين ـ: «كلا الأحمقين كان الصيدَ الذي يتمنى أن يُصاد، لا أن ينجو من الشَّرَك، فعثر كلاهما بمن يصطاده؛ عثر البشروئي بالشاب الذي غلبته المراهقة على أمره، وبمن يضع اللقمة في جوفه، والكلمة في فمه، والخنجر في يده، وعثر الشاب بالشيخ الذي كان ينوء تحت ثقل عبوديته لأطماعه، وكلاهما ظن في صاحبه أنه صيده الذي دار في الغاب طويلًا يبحث عنه، وكلاهما خنع ذليلًا لهذا الظن، فَلْتَلْتَهِم النار الهشيم، وليؤجج الهشيمُ النارَ التي تلتهمه»، اهـ، من «البهائية تاريخها وعقيدتها»، ص (٨٩ ـ ٩٠). وفيه أنه لما طُلِبَ من «المهدي» حُجَّةً تؤيد دعواه كانت الحجة: قوله «آية المهدي أنه يكتب تفسيرًا لسورة يوسف»، وأخرجه من ثوبه ـ وقد أعدَّه مقدمًا ـ وهنا: «خرَّ البشروئي ساجدًا معلنًا في صراحة أن هذا المراهق هو المهدي المنتظر، والقائم صاحب الزمان» ا هـ. من السابق، ص: (٩١) بتصرف.

(٣) ولا شك أن الانتباه المبكر لمثل هذه الحالات يقي الأمة شرًّا كثيرًا، ولعل أقرب الاضطرابات لمثل هذه الحالات «الاضراب الضلالي» .DELUSIONAL DISORDER
من النوع المعروف بـ «العظمة الضلالية» .DELUSION OF GRANDEUR
أو «هذاء البارانويا» المسمى «جنون العظمة»؛ حيث يحتفظ المريض بالتفكير المنطقي، وتبقى الشخصية متماسكة، ومنتظمة نسبيًا، وعلى اتصال ـ لا بأس به ـ بالواقع، ولا يصاحبها اضطرابات عقلية أخرى، ولا يحدث تغير في السلوك العام إلا بقدر ما توحي به الأوهام، والهذيانات؛ فالذي يلفت النظر ـ هنا ـ هو أن المريض قد يبدو سليمًا من ناحية قدرته على الاستدلال والمحاجة، غير أنه يؤسس استدلالاته على اعتقادات زائفة أو فاسدة، ومقدمات باطلة.

(٤) راجع ص (٤٢٦ ـ ٤٢٧).

و«أحمد بن عبدالله الملثم»: «حصل له انحرافُ مزاجٍ، فادَّعى في سنة (٦٨٩) هـ دَعاوَى عريضة»... إلخ، وذُكِرَ أنهم «حبسوه عند المجانين»(١).

وربما وُصف بعضهم ـ اعتذارًا عن دعواه المهدية(٢) ـ أنه كان «في حالة جَذْبٍ(٣)» أو «في غلبة الحال، ولكنه تاب عن ذلك القول في حالة الصحو والإفاقة، كغيره من الصوفية»(٤).

ـ وجاء في سيرة «نظام الدين السندي» أنه ادَّعى أنه المهدي الموعود، «وشاع ذلك الأمر وذَاعَ، فَوُضِعَ في البيمارستان القيمري بالصالحية مدة، وسكن عن التخليط، وقلَّل من التخبيط، فأمر القاضي بإخراجه»(٥)... إلخ.

السَّادِسَةُ:

لا تشفع الجوانِبُ الإيجابية التي أنجزها بعض مُدَّعِي المهدية(٦) في أن يُتجاوز ـ عند تقويم حركاتهم ـ عن أخطائهم المنهجية، وتجاوزاتهم للحدود الشرعية، فقد لُوحِظَ أنَّ بعض الباحثين يطلق لسانه في مدحهم، والثناء عليهم، غَاضًّا طرفه عن هذه السلبيات الجسيمة(٧)، وهذا خروج عن منهج السلفِ في التحذير من أهل البدع، والتنفير من مناهجهم.

---

(١) راجع ص (٤٢٦ - ٤٢٧).

(٢) راجع ص (٤٨٥).

(٣) انظر: «الكشف عن حقيقة الصوفية»، ص (٦٨٠)، وما بعدها.

(٤) راجع ص (٤٢٨)، ومثله ما جاء في اعتذار أبي الكلام آزاد عن دعاوى «الجونبوري» المتمهدي بأنها قد تكون (صدرت عنه في حال «السُّكْر»، و«الاستغراق»، و«غلبة الأحوال»؛ فهي إذن تُغْتَفَر)، كما نقله عنه في «فرق الهند»، هامش ص (٢٨٩)، مع أن الجونبوري قال إنه تلقى أمر المهدية عن الله ـ تعالى ـ مباشرة بدون واسطة!!، وقال: «وفي هذا الوقت أنا صحيح؛ ليس بي مرض، وعاقل؛ ليس بي جنون، ومنتبه؛ ليس بي غفلة، ولا إغماء، ومتأهل؛ لست بأعزب (؟!)، يأتيني رزقي من عند الله ـ تعالى ـ، ولا أحتاج إلى أحد، ولا أطلب الملك»؛ كما نقله عنه في «فرق الهند»، ص (٢٣٨ - ٢٣٩).

(٥) «المختار المصون من أعلام القرون»، (١١٧٣/٢).

(٦) كابن تومرت، والسوداني، والجونبوري، وغيرهم.

(٧) إما بأن يضرب صفحًا عن ذكر السلبيات بالكلية؛ كما فعل فتحي يكن مع المهدي السوداني في كتابه «الموسوعة الحركية»، (٢٢٩/١ - ٢٣٥)، أو بأن ينظم بعضهم في سلك المصلحين؛ كما زعم=

السَّابِعَةُ:

يُلَاحَظُ أن مكابرة حقائق الواقع على طريقة «عنزة ولو طارت»[١]، قاسم مشترك بين كثير من أتباع الْمُتَمَهْدِيِّينَ؛ الأمر الذي يعكس تلاعبَ الشيطان بهم، فبمجرد أن يُقْتَلَ مهديهم أو يموت ـ دون أن يملك سبع سنين ـ يعز على الشيطان أن تنحسم فتنته بموته ـ كما هو المفترض ـ، فَيُوحِيَ إلى أتباعه أنه لم يمت، ثم هم مُغْرَمُونَ ـ مع ذلك ـ بادعاء حتمية رجعته ليملأ الأرض عدلًا.

ـ فابن سبإ ادَّعى مهديةَ أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه فلما قِيلَ له: «إن عليًّا قد قُتِلَ»؛

= الدكتور عبدالمجيد النجار في كتابه «تجربة الإصلاح في حركة المهدي ابن تومرت»، ومما يؤسف له أن يدرج «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» الكتاب المشار إليه ضمن سلسلة «حركات الإصلاح ومناهج التغيير»؛ انظر: «دولة الموحدين»، ص (٧٠، ٣٧٣).

ومنهم من بهرته إنجازات بعض المتمهدين حتى عشا بصره عن رؤية مثالبهم الفظيعة؛ كما حَكَى عنهم الشيخ مسعود عالم الندوي في سياق قوله: «فلا نعرف رجلًا من بين العلماء تصدي لمقاومة تيار الزندقة، والإلحاد، وانبرى لمقارعة فتن البدع، وتتبع الشهوات، والأهواء غير «السيد محمد المهدي الجونبوري» الذي ادعى أنه مهدي آخر الزمان، فالتبس أمره على الناس، وأصبح العلماء، والمؤرخون من معاصريه، والذين جاءوا من بعده في شأنه علىَ قسمين بين مادح، وقادح؛ قسم يتجنب الحكم، والقطع بشيء في شأنه، ويفوض أمره إلى الله ـ تعالى ـ؛ وذلك لما جاء به، وأتباعُه من مساعٍ جليلة، وجهود مثمرة متتابعة لإصلاح ما فسد من تعاليم الدين، ومقاومة ما فشا في المسلمين من التهافت على البدع، والمنكرات...، وقسم لم يَتَحَرَّج في تكفير «السيد محمد» وأتباعه، ولم يدخر وسعًا في استئصال شأفتهم» ا هـ. من «فرق الهند»، ص: (٢٩٠ ـ ٢٩١).

وهذا «أبو الكلام آزاد»، (ت ١٩٥٨م) يكيل المدح لهم، ويطري عليهم، ويصم العلماء الذين قاموا ضدهم بعلماء الدنيا، وعبيدها، وفقهاء السوء، ويهود هذه الأمة، ويفصل الكلام في بيان مناقب الدعاة المهدويين، وأعمالهم الجليلة، ثم يعتذر عن الجونبوري في عقائده، وأقواله بأنها جاءت إما عن غلو معتقديه، وإما صدرت عنه في حال «السُّكْر»، و«الاستغراق»، و«غلبة الأحوال»؛ فهي ـ إذن ـ تغتفر؛ كما نقله عنه في «فرق الهند»، ص (٢٨٩).

(١) يضرب مثلًا في هذا السياق؛ وأصله أن رجلين كانا يمشيان في الصحراء، فأبصرا شيئًا في الأفق، فقال أحدهما: هو عنزة، وقال الآخر: إنه طائر، فلم يلبث حتى طار عاليًا، فقال الثاني: ألم أقل لك إنه طائر؟ فأجابه الأول: «عنزة، ولو طارت».

قال: «إن جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته؛ لا يموت حتى ينزل من السماء، ويملك الأرض بحذافيرها»، وزعم أن الذي قُتِلَ شيطان تصور في صورة علي، وأنه صَعَدَ إلى السماء، وأن الرَّعْدَ صوته، والبرقَ تَبَسُّمُهُ(١).

- وادعت فرقة من الكيسانية أن محمد بن الحنفية حي لم يمت، وأنه في جبل رضوى... إلى آخر تُرَّهَاتِهِمْ(٢).

- وادعى بعض الجارودية أن «النفس الزكية» حيٌّ لم يُقْتَلْ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلًا، في حين زعم «المحمدية» أنه في جبل حاجر من ناحية نجد.... إلخ(٣).

* * *

(١) راجع ص (٣٦٦).
(٢) راجع ص (٣٦٨)
(٣) راجع ص (٣٧٤)، وانظر ص (٥٦٥).